مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد (١)، العدد (١)، ص ص ٢١٧-٢٥٠(يناير ٢٠٠٨م /محرم ١٤٢٩هـ .)

الترف وذمه في القرآن الكريم

محمد بن حمد المحيميد
الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه
كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة القصيم

ملخص البحث. الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.   وبعد:

فإن القرآن الكريم فيه الشفاء لكثير من الأدواء البشرية، ومن ذلك داء اجتماعي خطير هو "الترف" والذي هو التنعم والبطر واستخدام نعم الله في معاصية.

هذا البحث يبين حقيقة الترف وصوره والتحذير منه في القرآن الكريم.

ويشتمل البحث على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة هي كالتالي:

مقدمة للبحث والمنهج فيه.

الفصل الأول: (حقيقة الترف) عرفت فيه الترف وبينت بعض أسبابه وشيئاً من مظاهره وصوره.

الفصل الثاني: (ورود الترف في الآيات القرآنية) بينت فيه ذم الترف وأثره على أهله وعلى غيرهم.

الفصل الثالث: (الآثار الواردة في الترف) وهي بعض ما جاء به النبي ﷺ وأصحابه } في البعد عن الترف.

الفصل الرابع: (الترف في هذا العصر) بينت فشوه وتنوعه، وأسباب ذلك، وبعض صور الترف المعاصرة، والعلاج لذلك

الخاتمة: أهم نتائج البحث..

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أوجدنا من العدم ، ومتعنا بالنعم ، وأمرنا بشكره ، وحذرنا من نقمته ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين ، وقدوة العُبَّاد والزاهدين ، ﷺ وآله وأصحابه أجمعين. أما بعد :

فإن الله – عزَّ وجل – أنزل كتابه العظيم هداية للعباد وشفاء للقلوب من الأهواء والأدواء ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾(١).

ما من خير إلا دلنا عليه ، ولا شر إلا حذرنا منه ، ومما حذرنا منه القرآن داء اجتماعي خطير، إذا استشرى بأمة أفسدها وإذا حل ببلاد أهلكها ، ذلكم هو (الترف) الذي ورد ذكره في مواضع من القرآن الكريم إما بلفظه وإما بمعناه.

وهذا البحث يدور حول هذا الموضوع ، تنبيهاً عليه وتعريفاً بآثاره ليتقيه المسلمون وقد سميته : **[الترف وذمه في القرآن الكريم]**.

خطة البحث

وخطة هذا البحث تشتمل على مقدمة ، وأربعة فصول ، وخاتمة ، تفصيلها كالتالي :

المقدمة : وأشرت فيها إلى أهمية هذا الموضوع ، وخطة البحث ، ومنهجي فيه.

الفصل الأول : حقيقة الترف

ويشتمل على :

المبحث الأول : تعريف الترف.

المبحث الثاني : أسبابه.

المبحث الثالث : صوره ومظاهره.

الفصل الثاني : ورود الترف في الآيات القرآنية

ويشتمل على :

المبحث الأول : ذم الترف.

المبحث الثاني : أثر الترف على أهله.

المبحث الثالث : أثر المترفين على غيرهم.

---

(١) الإسراء : ٩.

الفصل الثالث: الآثار الواردة في الترف

ويشتمل على:

المبحث الأول: ما جاء في السنة.

المبحث الثاني: ما جاء عن الصحابة والتابعين.

الفصل الرابع: الترف في العصر الحاضر

ويشتمل على:

المبحث الأول: تنوع الترف في هذا العصر.

المبحث الثاني: أسباب ذلك.

المبحث الثالث: صور من الترف في بعض بلاد الإسلام.

المبحث الرابع: الوقاية والعلاج.

خاتمة البحث: وفيها أهم النتائج من البحث بإيجاز.

هذا وقد كان منهجي في البحث أن قمت بعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية، وعزو الأقوال لقائليها، وتوثيق النصوص المنقولة إما نصاً أو معنى، على ما هو متبع في البحوث العلمية المعاصرة.

وأنبه إلى أمرين:

الأول: سلكت الاختصار تمشياً مع مطالب التحكيم لمثل هذا البحث.

الثاني: تركت ترجمة الأعلام حتى لا يثقل البحث، ولئلا تكون التراجم على حساب مسائل مهمة في البحث، على أن الترجمة لا طائل من ورائها لدى عامة المطلعين.

الفصل الأول: حقيقة الترف

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الترف.

المبحث الثاني: أسبابه.

المبحث الثالث: صوره ومظاهره.

المبحث الأول: تعريف الترف

جاء معنى الترف في اللغة وعند المفسرين بأنه التنعم والتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها ، وقد يؤدي ذلك إلى الطغيان.

قال الأزهري : " قال الليث : التُّرْفَةُ والطُّرْمَةُ ، من وسط الشفة خِلْقة ، وصاحبها أترف ".

وقال غيره : التُّرَفَةُ النَّعْمَةُ ، وصبي مُتَرَّف ، إذا كان مُنَعَّم البدن مُدَلَّلاً ، والمُتَرفُ الذي أبطرته النعمة وسعة العيش ".

وقال ابن عرفة : " المترف المتروك يصنع ما يشاء لا يُمنع منه ، وقيل للمتنعِّم مترَف ؛ لأنه مطلق له لا يُمنع من تنعُّم ".

﴿أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ (٢) قال قتادة جبابرتها " (٣).

وقال ابن دريد : " رجل مترف : مُنعَّم ، وترَّفه أهله إذا نعموه ، والترفة الطعام الطيب أو الشيء الطريف يخص به الرجل صاحبه " (٤).

وقال الجوهري : " التُّرفةُ – بالضم – : هَنَةٌ ناتئة في وسط الشفة العليا خِلقة.

وأترَفَتْه النعمة ، أي أطغته " (٥).

هذا كلام اللغويين في معنى الترف ، فهو يدور حول التوسع في النعم وينجر ذلك إلى الأشر والبطر وتعدي أوامر الله والتكبر على الخلق إذا لم يرزق المرء عقلاً أو يوفق لدين ، وإذا نظرنا إلى معنى الترف عند المفسرين فإنا نجده يدور حول هذا المعنى اللغوي.

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ (٦).

---

(٢) الإسراء : ١٦.

(٣) تهذيب اللغة ١٤/٢٧١ (ترف).

(٤) جمهرة اللغة ٢/١١ (ترف).

(٥) الصحاح ٤/١٣٣٣ (ترف).

(٦) هود : ١١٦.

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري ~ : " إن الله أخبر – تعالى ذكره – أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت، فكفروا بالله، اتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا وكفروا بالله، واتبعوا ما انظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا عن أمر الله وتحيروا وصدوا عن سبيله.

وذلك أن المترف في كلام العرب هو المنعَّم الذي قد غُذِّي باللذات، ومنه قول الراجز (٧):

نُهدي رؤوس المترفين الصداد *** إلى أمير المؤمنين الممتاد " (٨)

وقال القرطبي ~ في تفسيرها:

" (ما أترفوا فيه) أي من الاشتغال بالمال واللذات وإيثار الدنيا على الآخرة " (٩).

وعند تأويل قول الله – تعالى – : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ (١٠).

قال الإمام الواحدي ~ : "... والمترف: المنعم الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش، والمفسرون يقولون في تفسير "المترفين": الجبارين والمتسلطين والملوك " (١١).

وقال القرطبي: " والمترف: المنعم، وخصوا بالأمر؛ لأن غيرهم تبع لهم " (١٢).

وفي تفسير قوله – تعالى – : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (١٣).

قال البغوي: " ﴿ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ ﴾ نعمناهم ووسعنا عليهم " (١٤).

---

(٧) ديوان رؤبة بن العجاج، مجموع أشعار العرب ص ٤٠.

(٨) جامع البيان بتحقيق شاكر ٥٢٩/١٥، ٥٣٠، وانظر زاد المسير ١٧١/٤.

(٩) الجامع لأحكام القرآن ١١٣/٩، وانظر المفردات ص٧٤ (ترف).

(١٠) الإسراء: ١٦.

(١١) الوسيط ١٠١/٣، وانظر المفردات ص٧٤ (ترف).

(١٢) الجامع لأحكام القرطبي ٢٣٤/١٠.

(١٣) المؤمنون: ٣٣.

(١٤) معالم التنزيل ٣٠٨/٣، وانظر أنوار التنزيل ١٠٣/٢.

وقال أبو حيان: " وأترفناهم: أي بسطنا لهم الآمال والأرزاق ونعمناهم... وكأن العطف مشعر بغلبة التكذيب والكفر، أي الحامل لهم على ذلك كوننا نعمناهم وأحسنا إليهم، وكان ينبغي أن يكون الأمر بخلاف ذلك وأن يقابلوا نعمتنا بالإيمان وتصديق من أرسلته " (١٥).

وهكذا نجد التوافق بين المعنى اللغوي للترف والمراد به في آيات القرآن، فهو بمعنى التنعم المؤدي إلى البطر، وتعدي حدود الله، وعدم شكر نعمه، واستعمالها في طاعته سبحانه وتعالى، ولذا جاء ذكره في الآيات المكية وفي سياق الذم لمن اتصف به.

المبحث الثاني: أسباب الترف

الترف آفة إنسانية خطيرة، وظاهرة اجتماعية عارمة، وتنشأ هذه الآفة وتظهر هذه الظاهرة لأسباب ودواعي كثيرة منها:

أولاً: انفتاح الدنيا

انفتاح الدنيا على الناس، وكثرة المال بأيديهم أو تضخمها عند كثير منهم.

ومما يدل على ذلك قوله ﷺ محذراً من ذلك: (فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم) (١٦).

وفي لفظ: (وتهلككم كما أهلكتهم).

وكذلك ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص { عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إذا فتحت عليكم فارس والروم، أي قوم أنتم ؟!).

قال عبدالرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله. قال رسول الله ﷺ: (أو غير ذلك ؟ تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون) أو نحو ذلك... الحديث (١٧).

فمعنى هذين الحديثين تحذير من النبي ﷺ من انفتاح الدنيا وفيض الأموال، حيث إن ذلك يجر إلى الانسياق خلف ملذاتها، والتعلق بزخارفها، والوقوع في التنافس فيها ليعيش طالبها عيش الترف والبذخ وما إلى ذلك.

---

(١٥) البحر المحيط ٤٠٣/٦.

(١٦) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب (٧) ما يحذر من زهرة الدنيا ١٧٢/٧، ١٧٣ من حديث عمرو بن عوف، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق ٢٢٧٤/٤ حديث (٢٩٦١).

(١٧) أخرجه مسلم في كتاب الزهد ٢٢٧٤/٤ حديث (٢٩٦٢).

وواقع المجتمعات يشهد بذلك ، فإنه كلما انفتحت الدنيا على الناس اقتربوا من الترف والبطر وولغوا فيه. وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (١٨).

قال سيد قطب ~ : " فأما رزقه لعباده في الأرض فهو مقيد محدود لما يعلمه – سبحانه – من أن هؤلاء البشر لا يطيقون – في الأرض – أن يتفتح عليهم فيض الله غير المحدود : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾.

فالله يعلم أن عباده ، هؤلاء البشر لا يطيقون الغنى إلا بقدر ، وأنه لو بسط لهم في الرزق من نوع ما يبسط في الآخرة لبغوا وطغوا ، إنهم صغار لا يملكون التوازن ، ضعاف لا يحتملون إلا إلى حد ، والله بعباده خبير بصير ، ومن ثمّ جعل رزقهم في هذه الأرض مقدراً محدوداً... " (١٩).

وفي معنى هذه الآية وأن انفتاح الدنيا سبب للترف والطغيان قوله سبحانه : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ (٢٠) ، والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة (٢١).

ثانياً:التميز على الآخرين

حصول المرء على ميزة يتميز بها عن غيره من جاه ، أو منصب ، أو منفعة معينة ، أو جمال ، أو نحو ذلك.

إنه إذا تميز شخص عن غيره بميزة ما فإنه ربما يتأثر بذلك ويظن أنه فوق غيره ويحمله ذلك على الترف والبطر ، والشيطان يزين له ذلك ويوهمه أن هذا الشيء إنما حصل عليه وملكه من تلقاء نفسه كما قال الله – عز وجل – عن قارون أنه قال : ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ (٢٢).

إن الجاه والمنصب قد يحمل على الظلم ، والتعدي ، وعدم المبالاة بحقوق الآخرين ، كما هي عادة المترفين " فمن مضار الجاه أن يستخدمه فيما يسوء الخلق ، فالأمير قد يظلم المأمور... والموظف وهو أمير على من تحته قد يظلمهم... ولا يعمل تلك الأعمال إلا المترفون المنعمون بحصول الجاه لهم " (٢٣).

---

(١٨) الشورى : ٢٧.

(١٩) في ظلال القرآن ٢٨٧/٧.

(٢٠) العلق : ٦ ، ٧.

(٢١) انظر : الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم ص١٨ – ٢٠.

(٢٢) القصص : ٧٨.

(٢٣) الترف وأثره في المجتمع ص٢٥.

وكذا الجمال فإنه عنصر من عناصر الطغيان ومن ثم الترف. والجمال وصف عام يندرج تحته جمال الشكل، أو الملبس، أو المركب، أو المسكن ونحوها، وهذه الجوانب قد تكون حاملة على الزهو بالنفس، والاستعلاء على الآخرين، أو تكون داعية لفتنة من الفتن كالوقوع في الخنا والفواحش إلا من عصمه الله عز وجل - كما عصم يوسف # من فتنة امرأة العزيز، فإن الذي حملها على مراودته عن نفسه جماله، لكن حماه الله من فتنتها ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (٢٤).

ولك أن تتأمل زماننا وما انتشر فيه من إثارة للفتنة بسبب الجمال من خلال أجهزة الإعلام المتنوعة ووسائل الاتصال والجوال حتى كانت صور الجميلات من النساء منتشرة انتشاراً خطيراً مما يغري بالفاحشة ويهدد بسقوط الفضيلة، وحلول الرذيلة، وانسلاخ الحياء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وهو سبحانه حسبنا ونعم الوكيل.

والجمال قد يكون محموداً ومطلوباً في حال شكر النعمة، والتقيد بالحدود الشرعية " والله جميل يحب الجمال " (٢٥).

لكن المذموم إذا أدى الجمال إلى الترف وتخطي حدود الشرع والأدب.

ثالثاً: ضعف الإيمان

ضعف الإيمان أو انعدامه، وقلة الوازع الديني، إن الترف مرتبط بالبعد عن دين الله ارتباطاً وثيقاً، ولذا فإن الترف إنما ورد ذكره في السور المكية وفي ذم القوم المعاندين للرسل الذي أبطرتهم النعمة وصدتهم عن الإذعان للحق النازل من عند الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾(٢٦).

إن النعمة إذا لم تصادف قلباً مؤمناً خاشعاً فإنها تتحول في كثير من الأحيان والأحوال إلى أداة للترف والبطر والطغيان (٢٧).

---

(٢٤) يوسف: ٢٤. وانظر: الترف وأثره على المجتمع ص ٢٦، ٢٧.

(٢٥) حديث صحيح بلفظ: " إن الله جميل يحب الجمال " أخرجه مسلم في كتاب الإيمان / باب ٣٩ تحريم الكبر ٩٣/١ رقم ١٤٧.

(٢٦) هود: ١١٦.

(٢٧) انظر: تفسير ابن كثير ٥٨٥/٣، ٥٨٦.

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾(٢٨).

ولا يعني ذلك أن الترف خاص بالكفار والمكذبين ، بل هو خلق عام ينطبق على كل من اتصف به ، والله عز وجل يذكر صفات القوم ليحذرنا من الوقوع فيها ، وقد وقع كثير من المسلمين في الترف ، وهذا راجع إلى ضعف الإيمان ، وقلة الوازع ، والانغماس في المعاصي ، والاغترار ببريق الدنيا وزخارفها.

رابعاً: رقة الدين

رقة الدين على المستوى العام بين أفراد المجتمع سواء أكانوا من أهل العلم والرأي ، أم من غيرهم من العامة ودهماء الناس.

إن تساهل الناس بالأحكام وتوسعهم في إنفاق المال قد يؤدي إلى الوقوع في الترف المذموم.

والله سبحانه أرشد إلى الطريقة المثلى في إنفاق المال بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾(٢٩).

وأمر – سبحانه – بتناول الطيبات والمباحات وحذر من الإسراف المؤدي إلى الترف بقوله – سبحانه : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾(٣٠).

إن المتأمل لواقع المسلمين اليوم – خاصة في البلاد الغنية – يلحظ الترف ظاهراً بين أوساط كثير من الناس ، حيث توسع الكثير في المآكل ، والمشارب ، والمراكب ، والمساكن والمقتنيات ، وبالغوا في الكماليات حتى باتت وكأنها ضروريات لا يمكن الاستغناء عنها ، بل تعدى الأمر إلى الصرف على المشتبهات والممنوعات ، وهذا راجع في كثير من الأحيان إلى رقة الدين ، والاستهانة بالمال ، وعدم المبالاة في طرق إنفاقه.

خامساً: الجهل

إن الجهل بالله وشرعه وبما وعد الله في الدار الآخرة من النعيم وما توعد به من العذاب الأليم إذا اقترن بتوفر المال فقد يحمل صاحبه على الترف والطغيان.

إن الغني إذا لم يؤت علماً يرشده وحكمة تسدده فسيخبط في ماله خبط عشواء.

---

(٢٨) سبأ : ٣٤ ، ٣٥.

(٢٩) الفرقان : ٦٧.

(٣٠) الأعراف : ٣١.

وإلى هذا أشار النبي ﷺ في حديث أبي كبشة الأنماري > أنه قال: (إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته، فوزرهما سواء) (٣١).

والشاهد من هؤلاء النفر المشار إليهم في هذا الحديث الشريف الرجل الثالث الذي رزق مالاً ولم يرزق علماً فهو بسبب جهله وقع في الترف والتخبط في المال، وقد عدّه النبي ﷺ بأخبث المنازل، فالجهل يؤدي إلى الوقوع في هذا الداء الذي نحن بصدد الحديث عن سرد أسبابه ودواعيه وهو الترف.

سادساً: انتشار وسائل الشر

انتشار وسائل الشر، وتيسر أسباب الفتنة مع ضعف التربية، ومن ثم انسياق المرء مع الآخرين من عشيرة، أو صديق، أو زوج أو غيرهم.

إن الإنسان يتأثر ببيئته تأثراً كبيراً، فمن نشأ في بيئة مترفة فإنه يتأثر بذلك إلا من رحم الله وكما قيل: " الإنسان ابن بيئته ".

وقد جاء في بعض آيات الترف الإشارة إلى تأثر المترفين ببيئتهم وأسلافهم في قوله – سبحانه –: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ (٣٢).

هذا شيء عن أسباب الترف ودواعيه، ولعلي أكتفي بما ذكرت؛ لأن المقام لا يتسع للاستقصاء والتفصيل.

المبحث الثالث: صور الترف ومظاهره

صور الترف ومظاهره كثيرة جداً لا سيما عند انفتاح الدنيا وفشو المال بأيدي الكثير من الناس، ومن أبرز تلك الصور والمظاهر ما يلي:

أولاً: تعاطي المعاصي كبيرها وصغيرها، والإصرار عليها، ومبارزة الله بالفسوق والمجون دون وجل ولا مبالاة.

---

(٣١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد – باب (١٧) ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر ٤/٥٦٣ حديث (٢٣٢٥)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة بنحوه في كتاب الزهد- باب(٢٦) النية ٢/١٤١٣حديث (٤٢٢٨).

(٣٢) الزخرف: ٢٣.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ (٣٣).

فهؤلاء المشركون عصوا ربهم واتبعوا شهواتهم ولذاتهم المحرمة وآثروها على الآخرة وهذا من فسوقهم وإجرامهم (٣٤).

إن المترف ينجر إلى كبائر الذنوب بسبب تنعمه وطلبه للشهوات، وقد يقع في ذلك بعض المسلمين، بل بعض من ينتسبون إلى الصلاح والإصلاح. كمن يقعون في النظر المحرم وما يجر إليه من محادثة، وخلطة، وتعد للحدود الشرعية، وما ذلك إلا لانغماسهم في الترف (٣٥).

ومما يبين أن المعاصي والفسوق من مظاهر الترف قوله سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾ (٣٦).

ومعنى الآية عند كثير من المفسرين: أمرناهم بالطاعة إعذاراً وإنذاراً فعصوا وخرجوا من الطاعة إلى العصيان وتمردوا في الكفر والعناد، فإن الفسق الخروج إلى ما هو أفحش وأشد (٣٧).

ثانياً: الركون إلى الدنيا والتعلق بها والتوسع في ملذاتها من مأكل، ومشرب، ومركب، ومسكن، وملبس.

إن الانغماس في ملذات الدنيا والولوغ في شهواتها، بحيث تسيطر على هم الإنسان ويصبح أسيراً لها من أبرز مظاهر الترف وعلاماته.

والمترف – كما سبق – هو المنَعَّم، فمن أبطرته النعمة وغرته وأوقعته في الملذات المحرمة فهو مصاب بهذا الداء العضال.

إن فتنة الدنيا وبريق المال وزهرة هذه الحياة الفانية قد تحمل كثيراً من البشر على التعلق بها، حتى ربما ملكت على المرء حياته وأصبحت همته الكبرى ورغبته الأولى التي لا يستطيع التخلص منها، وبذلك يُعد هذا النوع من الناس في عداد المترفين (٣٨).

---

(٣٣) هود: ١١٦.

(٣٤) انظر: زاد المسير ٤/١٧١، والجامع لأحكام القرآن ٩/١١٣، وتفسير ابن كثير ٣/٥٨٥، ٥٨٦.

(٣٥) انظر: الترف وأثره في الدعاة والصالحين ص ١٤٢، ١٤٣.

(٣٦) الإسراء: ١٦.

(٣٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/٢٣٤، وفتح القدير ٣/٢٩٦، ٢٩٧.

(٣٨) انظر: الترف وأثره في الدعاة والصالحين ص ١٤٢، ١٤٣.

وقد حذرنا الله من الاغترار بزهرة الدنيا وبريق متعها الفانية بقوله – سبحانه – : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ (٣٩).

ومن الأمثلة على ذلك : التوسع في المسكن ، والمبالغة في تشييده ، وزخرفته ، وكثرة أثاثه ، وغلاء مقتنياته.

" ونشاهد اليوم كثيراً من المسلمين – بل عدداً من الصالحين والدعاة قد توسع في المسكن توسعاً أفضى به إلى أن يسرف إسرافاً مرذولاً ، وترى أنك إذا دخلت مسكنه دخلت قصراً مُشيداً ، فالأثاث فاخر إلى درجة المبالغة ، وهو ثمين للغاية ، وزائد عن الحاجة والمسكن قد جعلت فيه من أسباب الرفاهية الشيء الكثير... " (٤٠).

إن التمتع بالمباحات غير ممنوع ، لكن المبالغة في ذلك تؤدي إلى تجاوز الحد ، والوقوع في البذخ ، والتبذير مما يوقع في صفوف المترفين.

إن المتأمل لهدي النبي ﷺ وهو قدوتنا – يجد البساطة في المسكن ، فبيوته كانت عبارة عن حجرات يسيرة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ ﴾ (٤١).

فلا قصور ولا أُبَّهة ، بل فراش نومه يُعد قمة في الزهد والبعد عن زخرف الدنيا الفاني.

عن ابن مسعود > قال : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقلنا : يا رسول الله : لو اتخذنا لك وطاءً ، فقال : (مالي وما للدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) (٤٢).

وتكررت هذه الحالة وهذا المشهد أكثر من مرة (٤٣).

بهذا يتبين أن المبالغة في المساكن والفرش والتكلف الشديد في ذلك مثال من أمثلة الترف ، تقل أو تكثر نسبته بحسب الزمان ، والمكان ، وحال الناس.

ومن الأمثلة أيضاً : الشبع وهو من سمات المترفين ، فالتوسع في الملاذ يجر إلى هذه الآفة الخطيرة وهي "الشبع" وتناول ما لا حاجة إليه من الأطعمة والأشربة ، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك بقوله : (ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطن ، بحسْب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه) (٤٤).

---

(٣٩) الحديد : ٢٠.

(٤٠) الترف وأثره في حياة الدعاة والصالحين ص ١٠٤ ، ١٠٥.

(٤١) الحجرات : ٤.

(٤٢) أخرجه الإمام أحمد ٣٩١/١ ، والترمذي في كتاب الزهد باب (٤٤) ٥٨٨/٤ حديث (٢٣٧٧) وقال : حسن صحيح ، والطيالسي في مسنده ص٣٦ حديث (٢٧٧) ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧٢٣/١ رقم (٤٣٨).

(٤٣) بنحو ما سبق عن ابن عباس وغيره ، انظر : صحيح الجامع ١٥٤/٥ ، ١٥٥ ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٧٢٤/١.

كما أن السلف نبهوا إلى خطورة الشبع، وأنه يجر إلى الهلاك الدنيوي والديني لما فيه من الترف.

فعن ابن عباس > قال: (إياكم والبطنة من الطعام، فإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على آخرته) (٤٥).

وقد استقر – طبياً – واستفاض أن زيادة الأكل له عواقبه الوخيمة على صحة الإنسان، وهذا الإمام الشافعي ~ ينشد:

ثلاث هن مهلكة الأنام *** وداعية الصحيح إلى السقام
دوام مدامة ودوام وطء *** وإدخال الطعام على الطعام(٤٦)

ولئن كان النهم إلى الطعام مزرٍ لصاحبه وملحق له بسلك المترفين فهو بأهل العلم أشد وأنكى.

يقول الشافعي ~ :

العلم مغرسُ محل فخر فافتخر *** واحذر يفوتك فخر ذاك المغرسِ
واعلم بأن العلم ليس يناله *** من همُّه في مطعم أو ملبس(٤٧)

ثالثاً: من مظاهر الترف الإسراف، وللإسراف علاقة وثيقة بالترف، فإن السرف من أول درجات الترف ولبناته.

والإسراف هو مجاوزة القدر الوسط في الإنفاق المشار إليه في قوله – سبحانه –: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾(٤٨).

والإسراف يجر حتماً إلى الترف، وهو من الأدواء التي تنخر في جسد الشعوب وبه تنهار الأخلاق في الفرد والمجتمع (٤٩).

=

(٤٤) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد – باب (٤٧) ما جاء في كراهية كثرة الأكل ٥٩٠/٤ رقم (٢٣٨٠) وقال: حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه ٣٣١/٧ رقم (٥٢١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٥٥/٥.

(٤٥) الفردوس بمأثور الخطاب ٣٨٤/١ رقم (١٥٤٦).

(٤٦) ديوان الشافعي ص ١٢٤.

(٤٧) المصدر السابق ص ١٠٤.

(٤٨) الفرقان: ٦٧.

(٤٩) انظر: الترف وأثره في الدعاة والصالحين ص ٢١ وما بعدها.

قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (٥٠).

وقال ﷺ: (كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا، ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة) (٥١).

ويتفاقم الترف إذا تجاوز إلى حد التبذير، وإضاعة الأموال، وإهدار الممتلكات في أمور ضارة، أو لا حاجة لها.

قال – عز وجل –: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ (٥٢).

فالإسراف في إنفاق الأموال والتبذير في تصريفه من أبرز مظاهر الترف والبطر.

الفصل الثاني: ورود الترف في الآيات القرآنية

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: ذم الترف.

المبحث الثاني: أثر الترف على أهله.

المبحث الثالث: أثر المترفين على غيرهم.

توطئة:

ورد الترف في ثمانية مواضع من القرآن كلها في آيات مكية، وإليك سرد هذه الآيات:

الأولى:

قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾(٥٣).

الثانية:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾(٥٤).

---

(٥٠) الأعراف: ٣١.

(٥١) أخرجه النسائي في كتاب الزكاة – باب (٦٦) الاختيال في الصدقة ٧٩/٥ رقم (٢٥٥٩)، وابن ماجة في كتاب اللباس – باب (٢٣) البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة ١١٩٢/٢ رقم (٣٦٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٦٩/٤.

(٥٢) الإسراء: ١٦، ١٧.

(٥٣) هود: ١١٦.

(٥٤) الإسراء: ١٦.

الثالثة:

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾(٥٥).

الرابعة:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾(٥٦).

الخامسة:

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴾(٥٧).

السادسة:

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾(٥٨).

السابعة:

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾(٥٩).

الثامنة:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾(٦٠).

وبعد سياق آيات الترف في القرآن مرتبة حسب ورودها في المصحف انتقل إلى مباحث هذا الفصل في الصفحات التالية.

---

(٥٥) الأنبياء: ١٢، ١٣.

(٥٦) المؤمنون: ٣٣.

(٥٧) المؤمنون: ٦٤.

(٥٨) سبأ: ٣٤.

(٥٩) الزخرف: ٢٣.

(٦٠) الواقعة: ٤٥.

المبحث الأول: ذم الترف

لقد كان سياق الآيات القرآنية للترف سياق الذم لأهله والتسجيل على مرتكبيه بالعناد والتكذيب، وكذا الفسق والغرور مما ألحق بهم وبمن حولهم العذاب والنكال في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة أشد وأنكى.

ففي آية هود بين الله سبحانه أن الترف من سمات الظلمة المجرمين بقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ (٦١)، كما أن في الآية إشارة إلى أن الترف كان حاملاً لهم على ظلم أنفسهم بالطغيان والبطر وظلم غيرهم بالإفساد في الأرض والإجرام.

قال الشوكاني ~ : " أي صاروا تابعين للنعم التي صاروا بها مترفين من خصب العيش، ورفاهية المال، وسعة الرزق، وآثروا ذلك على الاشتغال بأعمال الآخرة واستغرقوا أعمارهم في الشهوات النفسانية " (٦٢).

وفي سورة الإسراء بيَّن — سبحانه — أن الترف كان سبباً للعذاب العام (٦٣).

قال سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ (٦٤).

وبيَّن — سبحانه — في سورة الواقعة أن الترف سبب لعذاب الآخرة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ (٦٥).

وفي آية الأنبياء جرى التهكم بالمترفين على صنيعهم المشين (٦٦) بقوله: ﴿وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ (٦٧).

وفي سورة المؤمنون ذمَّ الله المترفين، ويفهم من سياق الآية الأولى فيها حول الترف أن الترف كان سبباً لكفر الكافرين وتكذيبهم لنبيهم، قال – عز وجل –: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (٦٨).

وفي سورة سبأ ذمَّ الله المترفين بأنهم يبادرون إلى التكذيب والعناد بقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ (٦٩).

---

(٦١) هود: ١١٦.

(٦٢) فتح القدير ٣/٧٤١، وانظر تفسير ابن كثير ٣/٥٨٥، ٥٨٦.

(٦٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/٢٣٤.

(٦٤) الإسراء: ١٦.

(٦٥) الواقعة: ٤٥.

(٦٦) انظر: فتح القدير ٣/٥٤٨، وروح المعاني ١٧/١٦، وظلال القرآن ٥/٥٢٢، وتفسير التحرير والتنوير ١٧/٢٧.

(٦٧) الأنبياء: ١٣.

(٦٨) المؤمنون: ٣٣.

وكـذا في الزخـرف : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (٧٠) .

فالترف طريق للكفر بالله ، والصد عن دينه ، وتكذيب المرسلين على مر القرون في الأمم السابقة.

كل هذا يبين أن الترف مذموم أشد الذم ، وأنه طريق الانهيار ، والانحدار ، والتردي في طرق الضلالة والهلاك.

المبحث الثاني: أثر الترف على أهله

الترف داء خطير ، يقضي على صاحبه وهو لا يشعر ، وقد دلّت الآيات السالفة الذكر أن الترف يؤثر على أهله من نواحٍ متعددة ، منها :

أولاً : أنه يحمل على الكبر والغرور ، وذلك بتكذيب الرسل والكفر بالله ، والصد عن قبول الحق.

قال – عزَّ وجل - : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ (٧١) .

فالترف حملهم على التعالي والترفع عن قبول دعوة المرسلين.

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (٧٢) .

فالمترفون غالباً هم المكذبون المعاندون.

ثانياً : إتباع الهوى والانسياق وراء الشهوات المحرمة ، والأماني الزائلة ، والولوغ في الفحش والمجون !!.

قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ (٧٣)

قال سيد قطب ~ : " والمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال ويجدون الخدم ويجدون الراحة... حتى تترهل نفوسهم وتأسن وترتع في الفسق والمجانة وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات... " (٧٤) .

=

(٦٩) سبأ : ٣٤.

(٧٠) الزخرف : ٢٣.

(٧١) المؤمنون : ٣٣.

(٧٢) سبأ : ٣٤.

(٧٣) هود : ١١٦.

ثالثاً: التقليد الأعمى، فتجدهم يتبعون غيرهم دون تفكير، وينساقون خلف شهوات من حولهم دون تأمل، ويتأثرون بمعتقدات غيرهم ولو كانت ضالة منحرفة.

قال – عزَّ وجل – : ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾(٧٥).

إنه الترف الذي أقعدهم عن إعمال عقولهم والانتفاع بتفكيرهم، فضلوا وانتكسوا تبعاً لغيرهم.

رابعاً: من آثار الترف وقوع المترفين في العذاب والنقمة، حيث أغضبوا خالقهم ورازقهم والمتفضل عليهم، بل قد يزاد التهكم بهم مبالغة في إيلامهم والتنكيل بهم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ﴾(٧٦).

قال سيد قطب ~ : " لا تركضوا من قريتكم، وعودوا إلى متاعكم الهنيء وعيشكم الرغيد وسكنكم المريح...، عودوا لعلكم تُسألون عن ذلك فيم أنفقتموه ؟! وما عاد هناك مجال لسؤال ولا لجواب !! إنما هو التهكم والاستهزاء !! " (٧٧).

خامساً: الإصابة بالدياثة شعر المترف أم لم يشعر " فالمترفون أكثر الناس استغراقاً في المتاع...؛ لأن كثرة المال تدعوه إلى السيادة والخلود إلى المتعة والراحة وتيسير عمل الفسق... فقد يكون الإنسان في الأصل طيباً صاحب خلق ودين إلا أن كثرة المال تعميه عن الكثير مما حوله، فلا يرى إلا ما يفكر فيه، إذ يريد في البداية أن يقلد المترفين... يريد أن يقلدهم بما يملك مباهاة وتفاخراً، فيأتي بالخدم، ويملأ بيته بهم نساءً ورجالاً، ويعميه المال وتعميه المباهاة فلا يعرف ماذا يتم بين هؤلاء الخدم، ولا يعلم ماذا يتم بين شبابهم ونسائه، ولا بين نسائهم وشبابه، فهذه غرائز أودعها الله في النفس البشرية.

ومن ثَمّ يصيب البيت العفن ولا يدري... ويصبح بؤرة للفساد وهو يظن أنه يحسن صنعاً...

ومنهم من يسمح لبناته بالسفر إلى خارج البلاد، فلا تتحرك فيه الشهامة العربية، فضلاً عن الغيرة الإسلامية...

=

(٧٤) في ظلال القرآن ٥/ ٣١٢.

(٧٥) الزخرف: ٢٣.

(٧٦) الأنبياء: ١٢، ١٣.

(٧٧) في ظلال القرآن ٥/ ٥٢٢، وانظر روح المعاني ١٧/ ١٦، وتفسير التحرير والتنوير ١٧/ ٢٧.

وهناك أنواع كثيرة من الدياثة غير الظاهرة التي يتساهل بها كثير من الناس، وغالباً لا تتم إلا عند المترفين... " (٧٨).

هذه بعض آثار الترف الخطيرة على أهله، اقتصر عليها خشية الإطالة.

المبحث الثالث: أثر المترفين على غيرهم

إن المجتمعات والشعوب لا بد لها من التداخل فيما بين أفرادها واحتكاك بعضهم ببعض، ومن ثم التأثر والتأثير حسياً ومعنوياً، حاضراً ومستقبلاً فيما بين أفراد كل تجمع من الناس.

والمترفون إذا وجدوا في بيئة ومجتمع صار لهم الأثر البالغ على من حولهم، ومن تلك الآثار:

أولاً: ضعف الأمم والشعوب. إن الترف إذا حل بأمة أضعفها وإذا نزل بشعب أصابه بالقعود والترهل، وبهذا تصبح الأمة مشلولة التفكير والقدرات، بل تكون لقمة سائغة لكل عدو أو متربص يريد بها سوءاً.

والتاريخ مليء بأمثلة كثيرة تشهد بذلك، منها ما حل بالدولة العباسية في آخر أيامها، فقد بلغ الترف مبلغاً فاحشاً أضعف الدولة وسهل سقوطها (٧٩).

جاء في كتاب عصر الانحدار عن الحال الاجتماعية في بغداد ما نصه:

" أما مظاهر الترف فقد بلغت حداً يفوق الوصف؛ لأن الأموال التي كانت تجبى للمصالح العامة أصبحت أموالاً يتصرف بها الخليفة ومماليكه وأمراؤه، ولا ينفقونها في السبيل التي جمعت من أجلها من كري الأنهار، وفتح الطرق، وعمارة المؤسسات العامة، وخدمة مصالح الشعب، بل أخذوا ينفقونها في شراء الألبسة الثمينة، والفراء الغالي، والرياش الفاخرة، ويتأنقون في الأطعمة والأشربة وأدواتها، كما كانوا يغالون في استحضار ما اشتهر بطيبه من ألوان الفاكهة، والطيوب، والعطور، واللحوم، والطيور، وكانوا يكنزون الذهب، والفضة، والحجارة الكريمة، مع أن جماعة الشعب في أشد حالات الضيق والبؤس، والعري، والمرض، والجهل... " (٨٠).

وواقع الأمة اليوم شاهد بذلك، فإن عدد المسلمين كثير جداً بالنسبة لغيرهم، لكنهم ضعفة تجاه أعدائهم، ومن أبرز الأسباب لذلك الانغماس في الترف، فإن كثيراً من المسلمين مشغولون ببناء القصور، وزخرفة الدور، والإسراف والبطر والابتعاد عن معالي الأمور (٨١).

---

(٧٨) الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم ص ٥٨، ٥٩.

(٧٩) انظر: الترف وأثره في المجتمع ص ٥٦، والترف وأثره في حياة الدعاة والصالحين ص ٢١ وما بعدها.

(٨٠) عصر الانحدار لمحمد أسعد طلس ص ١٥٠، وانظر الترف وأثره في الدعاة والصالحين ص ٣٢ – ٤٠.

(٨١) انظر: الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم ص ٥٦.

ثانياً: حلول العقاب العام بالمجتمع ؛ بسبب تجاوز المترفين وفسقهم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾(٨٢).

دلَّت الآية أن العقوبة تنزل بالمجتمع عموماً من أجل فسق المترفين ومعاصيهم.

قال سيد قطب ~ : " والآية تقرر سنّة الله هذه، فإذا قدر الله لقرية أنها هالكة ؛ لأنها أخذت بأسباب الهلاك فكثر فيها، فعمَّ فيها الفسق، فتحللت وترهلت فحقت عليها سنّة الله وأصابها الدمار والهلاك، وهي المسؤولة عما يحل بها ؛ لأنها لم تضرب على أيدي المترفين، ولم تصلح من نظامها الذي يسمح بوجود المترفين، فوجود المترفين ذاته هو السبب الذي من أجله سلطهم الله عليها ففسقوا، ولو أخذت عليهم الطريق فلم تسمح لهم بالظهور فيها، ما استحقت الهلاك وما سلط عليها من يفسق فيها ويفسد فيقودها إلى الهلاك.

إن إرادة الله جعلت للحياة البشرية نواميس لا تتخلف وسنناً لا تتبدل، وحين توجد الأسباب تتعدد النتائج فتنفذ إرادة الله وتحقق كلمته، والله لا يأمر بالفسق ؛ لأن الله لا يأمر بالفحشاء، لكن وجود المترفين في ذاته دليل على أن الأمة قد تخلخل بناؤها، وسارت في طريق الانحلال وأن قدر الله سيصيبها جزاء وفاقاً، وهي التي تعرضت لسنة الله بسماحها للمترفين بالوجود والحياة " (٨٣).

وقد بيَّن النبي ﷺ أثر المترفين العصاة على غيرهم بقوله في الحديث الصحيح: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً) (٨٤).

ثالثاً: استغلال الأكابر لعامة الناس وضعفائهم، حيث يضربون عليهم الضرائب، ويفرضون الرسوم لتتضخم أموالهم ويحققون ترفهم وبطرهم.

يقول ابن خلدون: " واعلم أن الداعي لذلك كله [أي سلب الأموال ومصادرتها من الناس] إنما هو حاجة الدولة والسلطان إلى الإكثار من المال بما يعرض لهم من الترف في الأحوال، فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج، ولا يفي به الدخل على القوانين المعتادة فيستحدثون ألقاباً ووجوهاً يوسعون بها الجباية ليفي لهم الدخل بالخرج، ثم لا يزال

---

(٨٢) الإسراء: ١٦.

(٨٣) في ظلال القرآن ٣١٢/٥.

(٨٤) أخرجه البخاري في كتاب الشركة – باب (٦) هل يقرع في القسمة ١١١/٣.

الترف يزيد والخراج بسببه يكثر ، والحاجة إلى أموال الناس تشتد ، ونطاق الدولة بذلك يزيد ، إلى أن تنمحي دائرتها ، ويذهب رسمها ، ويغلبها طالبها. والله أعلم" (٨٥).

هذا ما يتسع له المقام من ذكر أثر المترفين على غيرهم.

الفصل الثالث: الآثار الواردة في الترف

ويشتمل على المبحثين التاليين :

المبحث الأول : ما جاء في السنة.

المبحث الثاني : ما جاء عن الصحابة والتابعين.

المبحث الأول: ما جاء في السنة

هدي النبي ﷺ البعد عن الترف والتعلق بالدنيا ، بل صح عنه ﷺ ما يدل على ذم الترف والتحذير منه.

منها حديث ابن مسعود المتقدم ، وفيه أن النبي ﷺ قال : (مالي وما للدنيا ؟! ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت ظل شجرة ثم راح وتركها) (٨٦).

فهذا الحديث يزهد في الدنيا ويبين سرعة زوالها والارتحال عنها ، فلا تستحق الركون إليها والتعلق بزخارفها !!.

وقد بلغ ﷺ القمة في التقلل من الطعام ، لانصراف همته إلى ما هو أهم من أمر التبليغ ، والدعوة ، والجهاد ، وفي ذلك تقول أم المؤمنين عائشة < : (إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار) فيقول لها عروة [ابن أختها]: ما كان يُعيشُكم ؟ قالت : الأسودان التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كان لهم منائح وكان يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم ، فيسقيناه) (٨٧).

وقالت أيضاً < : (ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعاً حتى قبض) (٨٨).

وعن ابن عباس { : (كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاءً وكان أكثر خبزهم الشعير) (٨٩).

---

(٨٥) مقدمة ابن خلدون ص ٢٢٦. وانظر: أيعيد التاريخ نفسه ص ٢٢ ، والترف وأثره في الدعاة والصالحين ص ٢٩ – ٣١ ، وانظر : مقدمة ابن خلدون ص ٢٢٦.

(٨٦) سبق تخريجه ص ١٦.

(٨٧) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب (١٧) كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ١٨١/٧.

(٨٨) أخرجه البخاري في الكتاب والباب السابقين ١٨٠/٧.

هذا وقد حذّر النبي ﷺ من زهرة الدنيا والافتتان بها فيما رواه أبو سعيد > قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض. قيل: وما بركات الأرض ؟ قال: زهرة الدنيا. فقال رجل: هل يأتي الخير بالشر ؟! فصمت النبي ﷺ حتى ظننا أنه يُنزل عليه، ثم جعل يمسح عن جبينه فقال: أين السائل ؟ قال: أنا. قال أبو سعيد: لقد حمدناه حين طلع ذلك. قال: لا يأتي الخير إلا بالخير، إن هذا المال خَضِرَة (٩٠) حلوة، وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطاً أو يلم (٩١) إلا آكلة الخضرة، أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها (٩٢) استقبلت الشمس فاجترت وثلطت وبالت ثم عادت فأكلت، وإن هذا المال حلوة من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع) (٩٣).

وعن عائشة < قالت: (كان فراش رسول الله ﷺ من أدم وحشوه من ليف) (٩٤).

والأحاديث كثيرة في ذمّ الترف والتحذير من التوسع في الأمور الدنيوية.

المبحث الثاني: ما جاء عن الصحابة والتابعين

الصحابة } تربوا على أيدي المصطفى ﷺ وتأثروا به، واقتدوا بسنته، فظهر ذلك في أقوالهم وأفعالهم، لذا كانوا أبعد الناس عن الترف والتعلق بزهرة الدنيا، فقصرت آمالهم واشتغلوا بطاعة ربهم ونصرة نبيهم ﷺ.

ومما جاء عن الصحابة } في التحذير من الترف:

قال علي بن أبي طالب > : (ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل) (٩٥).

=

(٨٩) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد – باب (٣٨) ما جاء في معيشة النبي ﷺ ٥٧٩/٤ رقم (٢٣٦٠) وقال: " حديث حسن صحيح ".

(٩٠) (خَضِرَة):" يعني غضة حسنة، وكل شيء غض طري فهو خَضِر، وأصله من خُضرة الشجر" غريب الحديث لأبي عبيد ٣٦١/١.

(٩١) (حبطاً) : "الحبط: أن تأكل الدابة فتكثر حتى ينتفخ لذلك بطنها وتمرض عنه، يقال: حَبِطَت تَحْبَطُ حبطاً". (أو يلم): "فإنه يعني يقرب من ذلك ". غريب الحديث لأبي عبيد ٦٢/١.

(٩٢) (خاصرتاها): تثنية خاصرة وهي "الشاكلة" أي جانب البطن. انظر: الصحاح ٦٤٦/٢ (خصر).

(٩٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب (٧) ما يحذر من زهرة الدنيا ١٧٣/٧.

(٩٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب (١٧) كيف كان عيش النبي ﷺ ١٨١/٧.

(٩٥) أورده البخاري في كتاب الرقاق – باب (٤) في الأمل ١٧١/٧.

وكان ابن عمر { يقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك) (٩٦).

وهذا يعني أن يقصر المرء أمله ويستعد لآخرته ولا يتعلق بزخارف الدنيا.

وقد كان ابن عمر يوصي بذلك لما أوصاه النبي ﷺ بقوله: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) (٩٧).

وقد كان أصحاب النبي ﷺ متقللين من الدنيا بعيدين عن الترف، فهذا راوية الإسلام وحامل أحاديث المصطفى ﷺ (أبو هريرة >) قد تفرغ لتحمل الحديث والسنة، وربما عانى الجوع وشظف العيش في سبيل ذلك.

عن أبي هريرة > أنه كان يقول: (آلله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني....) الحديث (٩٨).

وعن سعد بن أبي وقاص > قال: (إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، ورأيتنا نغزو وما لنا طعام إلا ورق الحبلة وهذا السَّمُر(٩٩)، وإن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خِلط، ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام، خبت إذاً وضل سعيي)(١٠٠).

قال الأستاذ أبو زهرة ~ : " كان الخلفاء الراشدون يضربون الأمثال في محاربة الترف، فسيدنا أبو بكر كان يعيش عيشة قريبة من الكمال في الرزق، حتى إذا تولى الخلافة عاش عيشة جافة، وكان سيدنا عمر > يسير في المدينة ومعه درته يرهب الأشرار ويقرب الأخيار، وثيابه مرقوعة، حتى لا تكاد تعد الرقع فيها، وقد كانت خيرات الدنيا كلها تجيء إليه، ثم هذا سيدنا الإمام علي > كان قبل الخلافة يعيش عيشة ناعمة وإن لم تكن مترفة، حتى إذا تولى الخلافة علم أنها الابتلاء الأكبر " (١٠١).

هذا عن حال الصحابة وقناعتهم وبعدهم عن أي مظهر من مظاهر الترف والبطر.

أما التابعون فقد تربوا على أيدي الصحابة وتخلقوا بأخلاقهم فظهر عليهم الورع والزهد، وابتعدوا عن زخرف الدنيا.

---

(٩٦) أورده البخاري في صحيحه كتاب الرقاق – باب (٣) ١٧٠/٧ عقب الحديث الآتي.

(٩٧) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب (٣) ١٧٠/٧.

(٩٨) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب (١٧) كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ١٧٩/٧.

(٩٩) (الحبلة والسمر): "نوعان من الشجر أو النبات". غريب الحديث لابن قتيبة ١٧٣/٢.

(١٠٠) أخرجه البخاري في الكتاب والباب السابقين ١٨٠/٧.

(١٠١) الترف وأثره في الدعاة والصالحين ص ٢٠ نقلاً عن مجلة لواء الإسلام، العدد الخامس ١٣٨٢ ص ٣٨٧، ٣٨٨.

ومن الأمثلة على ذلك الإمام الحسن البصري ~ فقد كان مثالاً يحتذى في محاربة الترف.

فقد سأله الفضل بن ثور بن شقيق بن ثور – وكان تهمه نفسه (١٠٢): " يا أبا سعيد، رجلان طلب أحدهما الدنيا بحلالها فأصابها فوصل فيها رحمه وقدم فيها لنفسه، وجانب الآخر الدنيا، فقال الحسن: " أحبهما إلي الذي جانب الدنيا، فأعدت عليه، فأعاد عليّ مثلها " (١٠٣).

وقيل لأبي سليمان الداراني: إن الحسن كان يقول: من أراد أن يخشع قلبه ويغزر دمعه فليأكل في نصف بطنه، فقال أبو سليمان: رحم الله أبا سعيد، كان من القوم الذين مهدوا لأنفسهم وناقشوها الحساب قبل يوم الحساب، وإني لأرجو أن يكون من الفائزين برحمة الله تعالى " (١٠٤).

وقيل للحسن يوماً: " يا أبا سعيد، أي شيء يدخل الحزن في قلبك ؟ فقال: الجوع، قال: فأي شيء يخرجه؟ قال: الشبع " (١٠٥).

وقال ~ محذراً من الترف: " خصلتان من العبد إذا صلحتا صلح ما سواهما: الركون إلى الظلمة والطغيان في النعمة، قال الله – عزَّ وجل –: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾(١٠٦)، وقال الله – عزَّ وجل –: ﴿ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِيۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى ﴾(١٠٧) " (١٠٨).

الفصل الرابع: الترف في العصر الحاضر

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: تنوع الترف في هذا العصر.

المبحث الثاني: أسباب ذلك.

المبحث الثالث: صور من الترف في بعض بلاد الإسلام.

المبحث الرابع: الوقاية والعلاج.

---

(١٠٢) ربما كان المقصود أنه يعتني بنفسه من حيث المأكل والملبس والمركب.

(١٠٣) الزهد للحسن البصري ص ٨٥.

(١٠٤) المصدر السابق ص ١٢٤.

(١٠٥) المصدر السابق ص ١٢٥.

(١٠٦) هود: ١١٣.

(١٠٧) طه: ٨١.

(١٠٨) المصدر السابق ص ١١٠.

المبحث الأول: تنوع الترف في هذا العصر

في هذا العصر تغيرت الأوضاع في الدول والمجتمعات الإنسانية تغيراً كبيراً، وحدث نقلة سريعة وواسعة في أنماط الحياة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

إن الترف في هذا العصر قد تنوع وأصبح أشكالاً كثيرة وتهيأت سبله لكثير من فئات بني آدم ولم يعد مقصوراً على علية القوم من الرؤساء والسلاطين أو الأغنياء الموسرين.

إن الانفتاح بين الأمم والشعوب جعل الترف في هذا العصر ينفتح بابه على مصراعيه، وظهر من ألوان هذا الداء ما يفوق الوصف والعد.

يقول الأستاذ الكبير أبو الحسن الندوي ~ : " اعتاد العرب لأسباب كثيرة وبتأثير الحضارة الغربية حياة الترف والدعة، والاعتداد الزائد بالكماليات وفضول الحياة والإسراف والتبذير، والاستهانة بمال الله في سبيل اللذة والشهوة والفخر والزينة.

وبجانب هذا الترف والنعيم وحياة البذخ والتبذير جوع وعري وفقر فاضح، يرى الناظر مناظره الشائنة في عواصم البلاد العربية فتدمع العين ويحزن القلب وينتكس الرأس حياء وخجلاً " (١٠٩).

ويقول الأستاذ محمد أبو زهرة: " وهل نحن في مجتمعنا الإسلامي عامة، والعربي خاصة، والمصري بصفة أخص تجنبنا متارف الحياة ولم نأخذ منها إلا بمقدار استرواح النفس، عن ذلك نأخذه من حاضر معاين، وشاهد قائم.

وقد يقولون: إن الأمم التي نقلدها في ذلك الترف المغري قوية، ادّرعت بالحديد والنار، نقول لهم: إنها ادّرعت بالمال والحديد، ولكن لم تدّرع بالأخلاق الإنسانية العالية والعزائم القوية.... " (١١٠).

وقال أيضاً ~ : " ولننظر في حالنا نجد أن البلاد الإسلامية أو العربية أو البلاد المصرية على وجه الخصوص تنقسم إلى قسمين:

قسم يعيش على ملء بطنه إن وجد ما يملؤها، وعلى ستر عورته إن وجد ما يسترها، وهذا هو الكثرة الكاثرة.

وقسم يعيش في ترف يُذهب كل معنى من معاني الرجولة، وهؤلاء إذا استمروا مسيطرين على الرأي العام الفكري فبشر مصر والعرب بالخراب المستعجل ! ونرجو ألا يكون.

---

(١٠٩) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٢٨٧، وانظر مجلة الإسلام اليوم عدد (٢٩) ربيع الآخر ١٤٢٨هـ في مقال للدكتور/ محمد العبده بعنوان: (ما هي الحضارة).

(١١٠) الترف وأثره في الدعاة والصالحين ص ٤٨، ٤٩ نقلاً عن مجلة لواء الإسلام، العدد الخامس ١٣٨٨هـ ص٢٦٣.

إننا نجد الآن دور الملاهي والصحف والمجلات إذا استثنينا المجلات الإسلامية المحدودة النشر ، والتي لا يقرؤها إلا من يتمسك بدينه ولا ينتفع بها غيره — نجد تلك الدور كلها تصور حياة المترفين ، وكذلك الروايات السينمائية نجدها تمثل قصوراً لقوم يتنعمون بأبلغ أنواع التنعم ، ثم نجد معانيها كلها تتجه إلى اللذات وإلى الشهوات وإلى الإسراف فيها ، ولا نجد فيها إلا مناظر السكارى والراقصين والراقصات ، فإذا أردنا أن نعرف مجتمعنا من دور السينما ومن الأفلام نرى أنه مجتمع لاهٍ لاعب عابث ، ثم إن تلك المناظر تقتل النخوة وتثير في الشباب الرغبة الملحة في أن يكونوا كأبطال السينما ، يطلبون الهوى والترف واللذة.

ولننتقل إلى الصحف فنرى كل صحيفة تنقل أخبار المترفين وأوصاف الملاذ والشهوات عن أمريكا وعن فرنسا وعن انجلترا ، وكذلك أنباء المطربين والمطربات وما هم عليه من ترف ، فكأننا في جو يدعو إلى الترف ، مع وجود الحرمان المطلق !!.

لذلك نخشى على أنفسنا ، ونخشى على مصر والعرب أنه إذا استمرت تلك الدور تؤدي دورها فالويل ثم الثبور والهلاك للأمة العربية ، وهو هلاك لا قبل لهم باحتماله ؛ لأن الترف كان فيما مضى محصوراً في طبقات معينة ولم يكن معلناً في كل مكان ، وكان يستتر استتاراً ؛ لأن الأمة العربية كانت في شكيمتها وفي عزها وفي قوتها لا تخنع ولا تذل ، إذا اختبرت أبلت بلاء حسناً في اختبارها ، أما إذا ساد الأمر الآن فإنا نخشى على الأمة كل الخشية ، وخصوصاً إن علمنا أن التلفزيون سيرسل إلى بلاد الفلاحين ، وأنه يراد أن يكون في كل جمعية تعاونية تلفزيون ، ليرفه عن الأهلين ، وليروا فيه ترف المفسدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله " (١١١).

ويقول الشيخ علي الطنطاوي : " كم ينفق في الشام ومصر والعراق وسائر بلدان هذا المشرق الإسلامي في الزفاف وحفلاته والمأتم وملحقاته والأعياد والمواسم ، وأيام الولادة والختان فيما لا ينفع أحداً البتة ، ولا يعود عليه بعائدة ، ولا تنال منه فائدة ؟ !.

حتَّام (١١٢) تهدر الأموال ويراق الذهب اتباعاً لعادات قبيحة وتقليداً كتقليد القردة... ؟!

هل تذهب بشاشة العيد ويمحي رواؤه لو اصطلح الناس فيه على تقديم السكر الملبَّس بدلاً من الشيكولاته ؟!....

هل يبطل أنس العرس وتضيع بهجته إذ لم يكن إلا باقتان من الزهر ؟!.

هل يحرم الميت التقي من نعيم الجنة ، ويضاعف على الشقي العذاب إذا لم يمش في جنازته رجال الطريقة المولوية التي لا يقول بها عقل ولا نقل ولا يقرها شرع ولا طبع ؟! فإلى متى نضيع أموالاً نحن اليوم أحوج إليها من كل يوم مضى ؟!....

---

(١١١) الترف وأثره في الدعاة والصالحين ص ٤٩ — ٥١ نقلاً عن مجلة لواء الإسلام العدد (٦) ص ٣٨٨.

(١١٢) إلى متى ؟.

فيا أيها الأغنياء لا تغتروا ، فإن النعم لا تدوم ، وإن بعد اليوم غداً ، وإن بعد الحياة موتاً ، وإن بعد الموت حساباً عسيراً أمام رب الأرباب الذي خلقكم وخلق الفقراء من طينة واحدة ، ولم يخلقهم من الطين ويخلقكم من الاسمنت المسلح !! ولم يميزكم عنهم إلا بمال أعاركموه ليكون محنة لكم وليطول عليه حسابكم..... " (١١٣).

إن ما ساقه كل من هذين الإمامين الجليلين ، الشيخ أبي زهرة والشيخ الطنطاوي – رحمهما الله – يبين أنماطاً كثيرة من الترف وتنوعاً كبيراً قد لا يكون موجوداً في أزمان غابرة بسبب الانفتاح العالمي والتقليد بين الشعوب ، وهذا في زمانيهما قبل عقود من الزمن !! فكيف بالحال اليوم وقد زاد اتساع مجال الرفاهية والانفتاح والترف ؟ !

المبحث الثاني: أسباب تنوع الترف في هذا العصر وفشوه

لانتشار الترف وتنوعه في عصرنا الحديث دواع كثيرة وأسباب متعددة ، من أهمها وأبرزها :

أولاً : انفتاح العالم على بعضه ، حتى أصبح العالم في الكرة الأرضية كلها – كما قيل – كالقرية الصغيرة ، يُعرف ما يقع فيه من أقصاه إلى أقصاه في وقت قصير ، وتنتشر فيه الظواهر السلوكية والاجتماعية وكأن الناس مختلطين في مكان واحد محصور رغم تباعد المسافات واختلاف اللهجات أو اللغات !!.

وما انتشار الموضات الغربية والعادات الأوروبية في بلاد العرب والمسلمين إلا دليل على ذلك.

ثانياً : ظهور وسائل الإعلام الحديثة (المقروءة ، والمسموعة ، والمرئية) بشكل كبير ، وانتشارها في مجال واسع ، مما جعل الترف مشاهداً ومتابعاً من لدن أغلب الناس وهذا يؤدي إلى تأثر المجتمع وتغيير ثقافته وأنماط حياته ، فبعد أن كان الناس يعيشون عيشة البساطة والقناعة صاروا يلهثون وراء الماديات والمغريات ويحاولون مُحاكاة ما يرون أو يسمعون عبر وسائل الإعلام التي تبث أخبار المترفين في شتى بقاع الأرض.

ثالثاً : توجه أكثر الناس اليوم – خاصة في البلاد الغنية – إلى المدنية والمدن بدل الريف والصحراء ، وهذا يحمل على الاهتمام بالعمران والتنافس في الرفاهية ووسائل الراحة.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا عندما سأله جبريل # : (متى الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. وسأخبرك عن أشراطها : إذا ولدت الأمة ربها ، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان) الحديث (١١٤).

قال ابن حجر ~ في شرحه لهذا الحديث : " قال القرطبي : المقصود الإخبار عن تبدل الحال بأن يستولي أهل البادية على الأمر ويتملكوا البلاد بالقهر ، فتكثر أموالهم وتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به ، وقد شاهدنا ذلك في هذه الأزمان" (١١٥).

---

(١١٣) الترف وأثره في الدعاة والصالحين ص ٦١ – ٦٢ نقلاً عن مجلة الرسالة ، العدد (٦٦٨) ١٣٦٥هـ ص ٤٣١ ٤٣٢.

(١١٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان – باب (٣٧) سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان ١/ ١٨.

(١١٥) فتح الباري ١/ ٤٢٣.

هذا في زمنهم في تلك القرون المتقدمة ، فكيف بزمننا هذا الذي توجه فيه البدو والفلاحون أجمع للمدن وتوفرت فرص العمل والوظائف لدى حكومات الدول والمؤسسات في القطاع الخاص بشكل واسع.

وقد بيّن العلامة المؤرخ ابن خلدون ~ أثر المدنية على الناس وأنها تؤدي بهم حتماً إلى الترف بقوله : " الترف والنعمة : إذا حصلا لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها ، والحضارة — كما علمت — هي التفنن في الترف واستجادة أحواله ، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه ، كالصنائع المهيئة للمطابخ ، أو الملابس ، أو المباني ، أو الفرش ، أو الآنية ، ولسائر أحوال المنزل ، وللتأنق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يُحتاج إليها عند البداوة وعدم التأنق فيها...." (١١٦).

رابعاً : حصول الطفرة المادية لدى المجتمعات في الدول التي اغتنت بعد أن كانت فقيرة كبعض دول الخليج ، فإن ذلك جعل المال يتوفر بأيدي كثير من الناس أو أكثرهم ، فحملهم الغنى المفاجئ على الاستهانة بالمال وصرفه في أوجه الترف والرفاهية والراحة.

جاء في كتاب (الخدم ضرورة أم ترف) : " دخول المجتمع السعودي عصر الطفرة الاقتصادية وبالتالي زيادة دخل الفرد وإمكاناته المادية ، مما أدى إلى ارتفاع مستوى المعيشة بمعدلات كبيرة ، كما ترتب عليه وجود فائض مادي لدى الأسرة السعودية بوجه عام ، فنشأت النزعة المتنامية إلى تغيير صورة البيت السعودي ، من حيث البناء ، والأثاث ، والمقتنيات ، والرغبة في اكتمال مظاهر " الأُبَّهَةَ " أو الوجاهة الاجتماعية ، والظهور بمظهر الطبقات الغنية — ولو من ناحية الشكل على الأقل — فازدادت مساحة البيت السعودي ، وأصبحت " الفيلا " بل و " القصر " بديلاً عن البيت التقليدي القديم ، فزادت أعباء الخدمة في هذا البيت الكبير ، فكان لا بد في البداية من خادمة تساعد ربة البيت ، كضرورة عملية لم تلبث أن تطورت فيما بعد وبسرعة غريبة إلى ضرورة اجتماعية ومظهر طبقي يرضي غرور الكثير من الأفراد الذين كانوا في قاع المجتمع ، ثم نقلتهم الطفرة الاقتصادية إلى أعلى مستويات الدخل ، فزادت طموحاتهم وتضخمت احتياجاتهم وعلاقاتهم ومسؤولياتهم ، فنشأت الحاجة إلى المزيد من الخدم.. وإلى السائق الخصوصي ، والمربية... الخ " (١١٧).

خامساً : تقدم التقنية الحديثة في أجهزة الاتصال ، فوجد الحاسب الآلي وخدماته عبر الشبكة العالمية "الانترنت" مما سهل التواصل بين الناس وإن تباعدت محالهم ، أو اختلفت جنسياتهم ولغاتهم وتوجهاتهم.

---

(١١٦) مقدمة ابن خلدون ص ٢٩٣ ، وانظر الترف وأثره في الدعاة والصالحين ص ٦٣.

(١١٧) الخدم ضرورة أم ترف (دراسة تحليلية لظاهرة الخدم في المجتمع السعودي) ص ٢١ ، ٢٢.

وللشبكة " الانترنت " آثار خطيرة على الفرد والمجتمع عند محاولة العبث بها وتتبع العورات والعمل على نشر الفاحشة بين الناس ، وهذا ظاهر لكل أحد.

وكذا وجدت أجهزة الجوال التي باتت بيد كل أحد ، كبيراً كان أم صغيراً ، غنياً أم فقيراً ، رجلاً أم امرأة.

وقد تقدمت تقنية " الجوال " وخدماته في شركاته وأجهزته فأصبح الاتصال سهلاً ، وتداول الصور الفاضحة ومقاطع البلوتوث المشينة فاشياً.

إن كلاً من الحاسب الآلي والجوال من نعم الله العظيمة في هذا العصر ، فقد سهلت الصعوبات وقربت البعيد وأفاد منها الجادون في مجالات العلم والدعوة والتربية وغيرها. إلا أنها سلاح ذو حدين ، ويتأكد الحذر عند استخدامها.

سادساً : تقدمت الاكتشافات والصناعات ، فاكتشفت كنوز في الأرض لم تكن معروفة من قبل كالبترول الذي صار عماداً للتقدم الصناعي ، فتم تصنيع وسائل حديثة ومتنوعة للمواصلات والنقل (براً ، وبحراً ، وجواً) ، وثم توليد الطاقات الكهربائية حتى غيرت نمط الحياة في المجتمعات تغييراً جذرياً.

كل ذلك وأمثاله جعل الحياة تتجه للراحة والرفاهية ، ويزداد التقدم يوماً بعد يوم مما جعل الآلة تخدم الإنسان وتوفر عليه الجهد في شتى الاستخدامات ، فأصبحت الأبدان ناعمة مترفة.

سابعاً : التقليد والمحاكاة والمباهاة التي تعتبر من آفات العصر ، فمتوسط الحال يحاول مجاراة العلية وأغنياء القوم حتى إنك لا تكاد تفرق بين الغني وغيره بسبب ذلك التقليد والمباهاة في أمور الحياة كالمركب ، والمسكن ، والملبس ونحوها.

ثامناً : الإحساس بالنقص ، فيحاول الإنسان أن يظهر بمظهر الغنى والتحضر بالإكثار من المقتنيات واتخاذ الأشياء فيقع في الترف من جرّاء ذلك.

قال الشيخ الداعية الدكتور/ محمد العبدة تحت عنوان : (ما هي الحضارة؟) :

" هل الحضارة هي الأثاث الفخم المكدس دون حاجة إليه ؟!.

وهل هي الإكثار من ألوان الطعام والشراب ؟!.

أو جمع التحف لتزيين الجدران والمكان ؟!.

أم هي جمع الكتب التي لا تقرأ ؟!.

كل هذا وأمثاله يمكن أن يُسمى ترفاً أو من أمراض (ما بعد الحضارة) ، وذلك عندما تتغلب النظرة الشيئية وتكدس منتجات حضارة أخرى ، وعندما تكدس السيارات الفارهة والهواتف النقالة !!.

إنها حالة تعويض الشعور بالنقص وليست هي الحضارة !! " (١١٨).

---

(١١٨) مجلة الإسلام اليوم ، العدد (٢٩) ، ربيع الآخر ١٤٢٨هـ.

المبحث الثالث: صور من الترف في بعض بلاد المسلمين اليوم

الترف في هذا العصر أصبح منتشراً بين الناس للأسباب المتقدمة في المبحث السابق، والصور لهذا الداء الاجتماعي كثيرة ومتنوعة، وإليك نماذج منها:

الصورة الأولى: التوسع في المآكل والمشارب، بل والتفنن فيها بصورة متفشية وغريبة.

إن الأكل بدل أن كان قواماً للأبدان ودفاعاً عن الجوع أصبح مطلباً لذاته وتفنن الناس في أنواعه وأشكاله بل ودخلته الموضات، حتى وجد في هذا العصر أشكال من الأطعمة المصنعة أو المطبوخة لم تكن معروفة من قبل وربما سميت بأسماء غربية أو شرقية، إمعاناً في الرفاهية والترف والتقليد والمحاكاة.

إن المتأمل للمدن اليوم يجد المطابخ والمطاعم قد انتشرت وتنوعت، ومصانع الحلويات قد كثرت وتفنن أصحابها في استنزاف ما في الجيوب استغلالاً للحفلات والإجازات والمواسم، وما انتشار محال التموينات والأسواق الغذائية الكبيرة في كل مكان إلا دليل على الإقبال الدائم على المآكل والمشارب، هذا فضلاً عما تغص به البيوت من مواد مخزنة أو مبردة.

إنه لا مانع من تناول المباحات، قال - عزَّ وجل -: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾(١١٩). لكن الاعتدال مطلوب، والإسراف ممنوع كما قال - عزَّ وجل -: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾(١٢٠).

إن التوسع في المأكل والمشرب يجر إلى آفة خطيرة وهي الشبع، بحيث يتناول المرء زيادة عن حاجته، فيؤدي ذلك إلى السمن، وقد انتشر في هذا الزمن بين الرجال والنساء(١٢١).

الصورة الثانية: الاهتمام بالأشكال والأزياء.

ويظهر ذلك في مجالات متعددة، كالاهتمام بزخرفة المساكن وتنميقها إرضاء لرغبات جامحة أو تقليداً أعمى دون فكر وروية، حتى تعدى الأمر إلى زخرفة المساجد، وقد جاء التحذير من ذلك في السنن والآثار.

كما يظهر في اللباس فتجد النساء يبالغن في الأزياء ويبحثن عن الجديد من الموضات ولو كان باهظ الثمن أو فيه تشبه بالكافرات والفاجرات.

---

(١١٩) الأعراف: ٣٢.

(١٢٠) الأعراف: ٣١.

(١٢١) انظر: الترف وأثره في الدعاة والصالحين ص ٧٦ وما بعدها.

ولم يقتصر الأمر على قاصرات العقل والدين ، بل سرى هذا إلى كثير من الشباب وأصبحوا يبالغون في زيهم وأشكالهم كما يظهر ذلك في المراكب ، حيث اقتنى كثير من الأغنياء أو من يحاكونهم السيارات المتعددة والغالية جداً ، حتى وجد من السيارات ما يضاهي قيمة المساكن والقصور.

الصورة الثالثة : التجاوز في المناسبات والأفراح إلى حد البذخ ، والبطر ، واللهو.

لقد بالغ كثير من المسلمين في حفلات الزواج فأهدروا الأموال وربما جلبوا المغنين والمغنيات ، وربما حجزت القصور أو الفنادق الفخمة وبأجورات عالية جداً من أجل فلان وفلانة.

وبُلي الناس بالبرامج السياحية في الإجازات والأعياد ، فوقع تجاوزات كبيرة من الغناء والاختلاط بين الرجال والنساء ، واستخدام الألعاب النارية ، مما يدل على الترف والبطر وينذر بالشر والنقم.

الصورة الرابعة : التوسع في استقدام العمالة وخاصة الخدم منهم ، مما يكون له أبلغ الأثر على الأسرة المسلمة في الوقوع في الترف.

ومما يبين حجم ظاهرة استقدام الخدم في المجتمع السعودي على سبيل المثال ما أجراه أحد الباحثين في استبيان جرى في بعض مدارس مدينة الرياض ، وقد أسفر الاستبيان عن النتائج التالية :

١- عدد الأسر التي يوجد لديها خادمة – من بين الأسر التي شملها الاستبيان فقط – (٤٨٥) أسرة بنسبة (٧٧ ٪) تقريباً.

٢- عدد الأسر التي لديها سائق خصوصي (١٨٥) أسرة بنسبة (٢٩ ٪) تقريباً.

وكشف الاستبيان عن أن (٧ ٪) من الخادمات مسيحيات ، و (٥ ٪) بوذيات !! ، وبالنسبة للسائقين أن (١٧٪) منهم نصارى ، و (٤ ٪) بوذيون !! ، وأن معظم هؤلاء السائقين في سن الشباب بنسبة (٧٨ ٪) ، وعدد النساء السعوديات اللاتي يركبن مع السائق بمفردهن (٩٠) أسرة بنسبة (٥٠ ٪) ، وعدد السائقين الذين يدخلون على النساء في المنزل (٤٠) سائقاً بنسبة (٢٢ ٪)... " [١٢٢].

ويظهر الترف في اتخاذ الخدم من وجوه أهمها :

"١- تأثير الخدم تأثيراً سيئاً وضاراً على لغة ، وعادات ، وسلوك الأبناء الصغار...

٢- وجود الخادمة يجعل الزوجة في كثير من الأحيان اتكالية كسولة تلقي بكل أعباء المنزل على الخادمة وتعفي نفسها وبناتها منها ، فتنشأ البنات بدون خبرة بأعمال البيت ، فضلاً عن أن يعتمد جميع أفراد الأسرة على الخادمة في كل صغيرة وكبيرة ، فتختلط بهم في أماكن النوم ، وأوقات الخلوة ، وهنا يكون الخطر شديداً على بعض أفراد الأسرة ومنهم الزوج والأبناء المراهقون...

---

(١٢٢) الخدم ضرورة أم ترف ص ٢٥.

٣- قيام العلاقات غير المشروعة بين الخدم وأفراد الأسرة في بعض الأحيان...

٤- الأعباء المالية التي تتحملها الأسرة التي تستخدم عدداً كبيراً من الخدم والمتمثلة في أجورهم، وثمن تذاكر سفرهم، وتكاليف معيشتهم، ومصاريف الاستقدام وغيرها دون فائدة حقيقية منهم.... "(١٢٣).

الصور كثيرة وكثيرة، ويجمع ذلك أن المدينة الحديثة والانفتاح المادي والتداخل بين الشعوب ولد أنماطاً كثيرة من الترف عالية الخطورة على الفرد والمجتمع.

المبحث الرابع: الوقاية والعلاج

إن الخطر داهم بلاد المسلمين بهذا الداء الخطر " الترف " والذي سرى في مجتمعاتهم سريان النار في الهشيم، لا أقول ذلك متشائماً، وإنما أنا ناصح ومشفق لعل من يطلع على هذه السطور ينتبه لهذا الخطر ويحذر من هذا الداء.

هذا وإني أسرد بعض الخطوات للوقاية والعلاج من الترف:

أولاً: تقوية الوازع الديني في صفوف المسلمين، حتى يتربوا ذاتياً على تقوى الله والتوازن والبعد عن الترف.

ثانياً: على دور التربية القيام بواجبها من توعية المجتمع على الاعتدال في الأمور وتحذيرهم من مخاطر الترف والطغيان.

ثالثاً: على المسلمين عموماً أن يتذكروا أن القدوة لهم هو محمد ﷺ وأصحابه ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾(١٢٤).

والنبي ﷺ كان أزهد الناس في الدنيا وأبعدهم عن الترف.

رابعاً: على المصلحين والدعاة من أساتذة، ومدرسين، وخطباء ونحوهم أن يبادروا بإنقاذ المجتمعات من وطأة الترف ويبثوا روح الإصلاح ويعنوا بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل أن تغرق السفينة.

خامساً: على الأكابر وعلية القوم من الرؤساء، والزعماء، والأغنياء تقوى الله سبحانه وشكر نعمته، وأن يبتعدوا عن الترف والبطر فإنهم إن تمادوا في الطغيان فإن الله لهم بالمرصاد.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾(١٢٥).

سادساً: على ولاة الأمور أن يجنبوا مجتمعاتهم مخاطر الترف، وذلك بالأخذ على أيدي المترفين وكف شرهم عن بقية الرعية.

---

(١٢٣) المرجع السابق ص ٢٨ – ٣١.

(١٢٤) الأحزاب: ٢١.

(١٢٥) الإسراء: ١٦.

سابعاً: على المسلمين عموماً أن يتذكروا سرعة زوال هذه الدنيا وأنها دار ابتلاء وامتحان، ودار ممر لا مقر.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١٢٦).

ثامناً: تربية السفهاء من نساء وذرية على الاقتصاد في الإنفاق والبعد عن الإسراف والتبذير، لما في ذلك من خطر الانزلاق في مستنقع الترف والبطر.

الخاتمة

وبعد هذا التطواف في المصادر العلمية من كتب تفسير وغيرها، وبعد النظر والتأمل لأحوال الأمم والشعوب السابقة واللاحقة، ودراسة موضوع " الترف " نخرج بفوائد من أهمها:

أولاً: أن الترف داء اجتماعي خطير يلحق الضرر بعامة الناس، ولا يقتصر أثره على المصابين به.

ثانياً: أن الترف قديم وليس جديداً، لكنه ازداد وتنوع في هذا الزمن، وفشا بين كثير من الناس.

ثالثاً: الخشية من أن يكون الإنسان قد وقع في الترف من حيث لا يشعر، لا سيما مع انفتاح الدنيا في هذه العصور المتأخرة.

رابعاً: لا يلزم من الغنى الترف، ولا يلزم أن يكون المترف غنياً.

خامساً: حاجة المسلم في هذا الوقت إلى تحذيره باستمرار من هذا الداء لتفاقم أمره وفشوه.

رزقنا الله خشيته وتقواه ومنّ علينا بشكر نعمه ووقانا ومجتمعاتنا شر هذا الداء، إنه سميع مجيب.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(١٢٦) يونس: ٢٤.

Luxury and its censure in The Holy Quran

Mohammed H. Al-Mohaimeed
Assistant Professor at department of The Holy Quran & its sciences
Faculty of Islamic law & Principles of Religion, AL-Qassim University

Abstract. Praise be to Allah, Pray & Peace upon the seal prophet.

The Holy Quran has the remedy for many diseases , one of this serious social diseases is " luxury" where it is a luxurious life & thanklessness & using graces of Allah in what Allah has prohibited.

This research illustrates the nature of luxury , its aspects, reasons & its censure in the Holy Quran.

The research includes Introduction , four chapters & conclusion, they are as the following:

Introduction to the research & its method

The first chapter: (nature of luxury) in which I have mentioned the concept of luxury , some of its reasons & some of its aspects.

The second chapter : (appearing the luxury in Quranic verses) in which I stated the censure of luxury & its effect on luxurious people & the others.

The third chapter : " cases that have been mentioned concerning luxury" they are some of what the prophet, his companions & his followers have narrated concerning leaving luxury.

The fourth chapter: (luxury in this age) in which I illustrated its spreading, variety & the reasons for all this, & some of modern aspects of luxury , & the remedy for this.

The conclusion: the most important results of this research.